القسم الديني

﴿ باب الاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب مايعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه «الامراء والحكام ونوع الحكومة الاسلامية»

(١) قال صلى الله عليه وسلم : «من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم ان فيهم اولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين» . فهل امراؤنا وعمالنا اعلمنا بالكتاب والسنة

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب اوكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة» افلا يكفر اكثر المسلمين اليوم من يدعوهم الى العمل بهذا الحديث المتفق عليه

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : لاطاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : من ارضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله

(٥) استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم ابيدوا خضراءهم» . أليست هذه سيطرة فعالة للامة على الامراء والحكام ، فمن اين جاءت السلطة المطلقة في الاسلام ؟

أليس ملوك المسلمين أولى بان يعاهدوا الامة عند المبايعة على تحكيمها

---

(١) رواه مسلم وابو داود عن ابن عباس (٢) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الاربعة عن ابن عمر (٣) رواه الشيخان وابو داوود والنسائي عن علي (٤) الطبراني والحاكم عن عبادة ابن الصامت (٥) رواه الامام احمد عن ثوبان

فى دمائهم اذا خالفوا شريعتها من ملوك الانكليز الذين يبيحون لمجلس الامة دماءهم اذا خالفوا قوانين البلاد وتقاليدها المتبعة ؟ بلى لأن المسلمين ملزمين بالعمل بالشريعة وتقييد السلطة للدين والدنيا معاً بخلاف اولئك

(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : اسمعوا هل سمعتم ؟ سيكون بعدي امراء (فى غير هذه الرواية هنا زيادة يكذبون ويظلمون) فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : «سيكون عليكم ائمة يملكون ارزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيؤن العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم فاعطوهم الحق ما رضوا به فاذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد» . فانظروا كيف حكّم الامة بالائمة والامراء وجعلها هى المعطية وهى المانعة وأمرها بالخروج عليهم اذا لم يرضوا بالحق وعد المقتول فى هذا السبيل شهيداً فهل يقول احد بعد ان نوع الحكومة فى الاسلام غير معروف ؟ ألا يجب تربية الامة على الاستقلال لتقيم به هذا الركن

﴿ آثار السلف ، عبرة للخلف ﴾

(الخطبة الاولى للخليفة الاول رضي الله عنه)

لما بويع ابو بكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . أما بعد ايها الناس فقد وليت عليكم

(٦) رواه الترمذي وصححه والنسائى وابن حبان عن كعب بن عجرة ورواه غيرهم عنه وعن غيره (٧) رواه الطبرانى عن ابى سلالة وله طرق اخرى

ولست بخيركم لوددت ان قد كفانى هذا الامر احدكم

اعلموا ايها الناس أن أكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور الا أن الصدق عندى الامانة والكذب الخيانة وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذله بحقه وان أضعفكم عندي القوىّ حتى آخذ الحق منه انما انا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فاعينوني وان زغت فقوّمونى وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ولا يدع قوم الجهاد الا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت الفاحشة فى قوم الا عمّهم الله بالبلاء فاطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لى ولكم . وفى رواية قوموا الى صلاتكم[1]

قوله رضى الله عنه « وان زغت فقوّمونى » قد اقتدى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فى عبارته المشهورة « من رأى منكم فيّ عوجاً فليقوّمه » وعثمان رضى الله عنه فى قوله « أمري لامركم تبع » وقد روي عنهم مثل هذا كثيراً وكان يوعظون قولاً وكتابة فيحمدون من يعظهم ويأمرهم بالخير . على هذا بنيت الخلافة الاسلامية فهدم ركنها بنو امية وحاولوا جعل السلطة مطلقة أو استبدادية وساعدهم من بعدهم على ذلك بالتدريج وساعد الملوك بعض الفقهاء فجعل لهم من السلطة والتصرف المطلق ما لم يجعله لهم الدين . وكان اول من جاهر بالمنع من نصيحة الملك أو الخليفة جهراً عبد الملك بن مروان فقد قال على المنبر « من قال لى اتق ضربت عنقه » فضعف بهذا امر الشورى وبطلت سيطرة الامة على

(١) ملخص من رواية البيهقى عن الحسن وابن اسحق عن أنس باسناد قال ابن كثير انه صحيح . والدينورى عن عبد الله بن عكيم . وفى بعض الفاظها اختلاف

امرائها فاستبدوا وجعلوا بأس الامة بينها شديداً وحارب بعضهم بعضاً لاجل الفتوح والغلب وازالة سلطة وإدالة اخرى منها حتى حل بالمسلمين ماهم فيه من البلاء المبين

« الخطبة الاولى للخليفة الثاني رضى الله عنه »

عن سعيد ابن المسيّب قال : لما وُلي عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انى قد علمت انكم كنتم تؤنسون مني شدة وغلظة وذلك أني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عبده[1] وخادمه وكان كما قال الله تعالى « بالمؤمنين رؤف رحيم » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا أن يغمدني او ينهاني عن امر فأكفّ والا اقدمت على الناس لمكان لِينِهِ فلم ازل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ والحمد لله على ذلك وأنا به اسعد . ثم قمت ذلك المقام مع ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد علمتم في كرمه ودعته ولينه فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتي بلينه الا ان يتقدم اليّ فأكفّ والا أقدمتُ فلم ازل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به اسعد

ثم صار امركم اليّ اليوم وأنا اعلم فسيقول قائل كان يشتدُّ علينا والامر الى غيره فكيف به اذا صار اليه . واعلموا انكم لا تسألون عني احداً فقد عرفتموني وجربتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما اصبحت نادماً

(١) وقع في هذه الرواية لفظ عبد وهو لم يعهد منهم وان كان مفسراً بالخادم فلعله حكي بالمعنى

على شيء أكون احب أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الا وقد سألته . فاعلموا أن شدتي التي كنتم ترون قد ازدادت أضعافاً اذا صار الامر الى على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم واني بعد شدتي تلك واضع خدي بالارض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم . واني لا آبى ان كان بيني وبين احد منكم شيء من احكامكم ان امشي معه الى من احببتم منكم فلينظر بيني وبينه احد منكم فاتقوا الله وأعينوني على انفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من امركم . ثم نزل[1]

وعن الحسن قال : ان اوّل خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي وخلفت فيكم بعد صاحبي فمن كان يحضرنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا وليناه اهل القوة والامانة فمن يحسن نزده حسناً ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم[2]

فانظروا كيف وطن نفسه على قبول تحكيم من يريدون منهم اذا كان لأحد عليه حق وكيف وطنها على قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاذا وفق الله امراءنا وحكامنا للاهتداء بهديهم والسير على سنتهم فان الدين يعتز بالخلف كما اعتز بالسلف ونكون من المفلحين . وظاهر ان هذين الخليفتين العادلين ماسارا هذه السيرة من انفسهما وانما تعلماها من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أدلة ذلك الاحاديث السابقة ومثلها كثير .

---

(١) رواه أبو حسين بن بشران فى فوائده وأبو أحمد الدهقان فى الثانى من حديثه والحاكم واللالكائي . (٢) رواه ابن سعد والبيهقي . ولعل كل راو ذكر من الخطبة شيئاً مما حفظه بمناسبة اقتضت ذلك